الفرج بعد الشدة

[40] فصل لبضع الكتاب: وهو على بن نصر بن بشر. وكما أن الرجاء مادة الصبر والمعين عليه، فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن با عزوجل الذى لا يجوز أن يخيب، فانا قد نستقري الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم، ويخيبون من يخيب أمله فيهم، ويتحرجون من اخفاق رجاء من قصدهم. فكيف بأكرم الاكرمين الذى لا يعوذه أن بمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه، وأعدل الشواهد بمحبة ا جل جلاله أن يمسك عبده برجائه، وانتظاره الروح من ظله وفنائه. إن الاسنان لا يأتيه الفرج، ولا تدركه النجاة إلا بعد إخفاق أمله في كل ما كان يتوجه فنحوه بأمله ورغبته، وعند انفلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته، وتناهى ضره ومحنته، ليكون ذلك باعثا له على صرف رجائه أبدا إلى ا تعالى، وزاجرا له عن تجاوز حسن الظن با تعالى. وروى عن عبد ا بن مسعود رضى ا عنه أنه قال. الفرج والروح في اليقين، والرضا والهم والحزن في الشك والغضب. قال أبان بن ثعلب سمعت أعرابيا يقول: من أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها، وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكلا على ا وحسن ظن به، فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى ا حاجته، ويزيل كربته، وينجح طلبته، ومعه دينه وعرضه ومروءته. وكان يقال: الصبور يدرك أحمد الامور. حكى الاصمعي عن أعرابي قال: خف الشر من موضع الخير، وارج الخير من موضع الشر، فرب حياة سببها طلب الموت، وموت سببه طلب الحياة. وأكثر ما يأتي الا من ناحية الخوف. قال مؤلف هذا الكتاب: ما أقرب هذا الكلام من قول قطرى بن الفجاءة الخارجي (1) ذكره أبو تمام الطائى في كتابه المعروف بالحماسة: لا يركبن أحد إلى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى مرة وأمامي

_____ (1) من رؤساء الخوارج.